**سلسلة**

**{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ؟}**

**- ١ -**

# توحيد الله حق الله على العباد
## (العروة الوثقى)

اعلم ـــ رحمك الله تعالى ـــ أن أول ما فرض الله على العباد تعلّمه والعمل به قبل الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الفرائض هو التوحيد قال تعالى: **{فاعلم أنه لا إله إلا الله}** [محمد:١٩] .

وأنه سبحانه لم يخلقهم أصلاً إلا لتحقيق هذا الأمر العظيم. قال تعالى: **{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}** [الذاريات:٥٦] .

أي:ليوحدون؛(يعبدوني وحدي) وهو معنى (لا إله إلا الله) فهي تعني أن لا معبود بحق إلا الله.

وأن ذلك هو الغاية التي بُعث من أجلها الرسل أجمعين قال تعالى: **{ولقد بعثنا في كلِّ أمة رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}** فقوله تعالى: **{أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}** هو معنى (لا إله إلا الله)، لأنها تشتمل على النفي والإثبات، فالنفي هو: (لا إله) والإثبات وهو: (إلا الله)، و (لا إله): تتضمن اجتناب كل ما يعبد من دون الله، وهو الطاغوت إن كان راضٍ بالعبادة(١)، و(إلا الله): تتضمن إثبات العبادة لله وحده. ولابد لتحقيق هذه الكلمة العظيمة من الجمع بين النفي والإثبات، فالنفي وحده كفر وتعطيل والإثبات وحده دون النفي لا يكفي لأنه قد يتضمن الإيمان بمعبودات أخرى مع الله، حتى يجمع العبد بين النفي والإثبات، فيعبد الله وحده ويتبرأ ويكفر بكل معبود سواه فعند ذلك فقط يحقق التوحيد الذي جاءت به الرسل أجمعون.

قال تعالى: **{يُنزِّل الملائكة من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون}**. [النحل:٢] .

وقال سبحانه: **{وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}**. [الأنبياء:٢٥] .

وفي السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله**). [رواه البخاري] .

ومن أجل هذه الغاية العظمى كان النزاع بين الرسل وأقوامهم وفيها كانت الخصومة والولاء والبراء والحب والبغض والموالاة والمعاداة، ومن أجله قُتل كثير من الأنبياء وأوذوا، وله عُذِّب الصحابة وأوذوا في مكة قبل فرض الصلاة والزكاة والحج وسائر الفرائض قال تعالى: **{وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عُجاب}**. [ص:٤-٥].

فقوله تعالى عن المشركين في استنكارهم أعظم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم: **{أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟}** هو معنى: (اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهو معنى: (لا إله إلا الله).

وهذه هي العروة الوثقى التي ضمن الله لعباده إن هم استمسكوا فيها أن لا تنفصم، فلا تتم النجاة إلا بالاعتصام بها، قال تعالى: **{لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها}**. [البقرة:٢٥٦] .

فقوله تعالى: **{فمن يكفر بالطاغوت}** هو النفي الذي تضمنته (لا إله).

وقوله سبحانه: **{ويؤمن بالله}** هو الإثبات الذي تضمنته (إلا الله).

فالعروة الوثقى التي لا ينجو المرء إلا بالاعتصام بها هي (لا إله إلا الله).

---

(١) وهذا القيد مهم؛ لأنه يخرج من مسمى الطاغوت من عُبِدَ وهو غير راضٍ بعبادة المشركين له كالملائكة وعزير والمسيح وغيرهم من الأنبياء والأولياء والصالحين فلا يسمون طواغيت ولايُتبرأ منهم لكن يتبرأ من عبادهم ومن اعتقاد ألوهيتهم.

وذلـــك أن عُـــرى الإيمان كثيرة والناس تتشبث بها أو ببعضها، فمِن مُتشبث بعروة الصلاة وحدها ومن متشبث بعروة الصدقة وأعمال البر وحدها، لكن ذلك كله لا يكفي للنجاة دون العروة الوثقى، فلا نجاة أبداً إلا أن تكون هذه العروة العظيمة (لا إله إلا الله) متحققة قبل جميع عرى الإيمان الأخرى إذ بدونها لا تقبل تلك العرى. ولذلك فإن فرعون عندما عاين الهلاك وأدركه الغرق لم يتشـــبث أو يلُذ إلا بها.. لكن كان ذلك بعد فوات الأوان. قال تعالى: **{حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين}**. [يونس:٩٠] .

ولعظم شأن التوحيد فقد صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن السموات والأرض لو وضعت في كفة الميزان ووضعت (لا إله إلا الله) في الكفة الأخرى لرجحت بهن لا إله إلا الله.

ولذلك فليس هناك أعظم في دفع الشدائد من التوحيد، ألا ترى أن دعاء الكرب: (الله، الله ربي ولا أشرك به أحداً) ولذلك كان الأنبياء وهم أعلم الناس وأفقههم كانوا يلوذون في الشدائد بالتوحيد ويتوسلون إلى الله به، لعلمهم أنه ليس هناك أعظم قدراً عند الله منه، قال تعالى عن نبيّه يونس: **{فنادى في الظلمات**(1) **أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجّيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين}**. [الأنبياء:٨٧-٨٨]

إذا فهمت ما سبق من أهمية التوحيد (لا إله إلا الله) وعِظم خطره وقدره وأن معناه توحيد الله بالعبادة، أي: أن لا معبود بحق إلا الله، فيجب عليك أن تتعلم معنى العبادة لتتمكن من توحيدها كاملة لله وتتجنب عبادة ما سواه سبحانه بأي نوع من أنواع العبادة، وبالتالي تحقق التوحيد كاملاً.

وكذلك يجب عليك أن تفهم معنى الشرك الذي هو ضد التوحيد لتتجنبه.

واعلم قبل ذلك أن (لا إله إلا الله) لها شروط لا تصح إلا بها وهي:ـــ

**الأول**: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، قال تعالى: **{فاعلم أنه لا إله إلا الله}**.

**الثاني**: اليقين المنافي للشك، قال صلى الله عليه وسلم: (..**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله** (2) **خالصاً من قلبه أو نفسه**). [رواه البخاري]

**الـــثالث**: الصدق المنافي للكذب، فهي لا تقبل ممن تلفظ بها كاذباً كالمنافقين، قال تعالى: **{إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار}**.

**الرابع**: الإخلاص المنافي للشرك قال تعالى: **{إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة}** وسيأتي بيان الشرك.

**الخامس**: المحبة لهذه الكلمة ولما دلّت عليه.

**السادس**: الإنقياذ لحقوقها، قال وهب بن منبّه: (لا إله إلا الله مفتاح الجنة ولكلٍّ مفتاح أسنان فمن جاء بمفتاح له أسنان فتح له، ومن جاء بمفتاح ليس له أسنان لم يفتح له) والأسنان هي حقوق لا إله إلا الله من أركان الإسلام وفرائضه وعرى الإيمان ولوازمه.

**السابع**: اجتناب نواقضها وهي كثيرة أخطرها الشرك بالله وسيأتي بيان بعض نواقضها.

واعلم أن هذا التوحيد يسميه أهل العلم (توحيد الألوهية) أو (توحيد العبادة) وهناك قسمان آخران يذكرهما العلماء هما:ـــ

---

(١) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت.

(٢) **فـــائدة**: ذهـــب طوائف من أساطين أهل العلم إلى أن مثل هذه الإطلاقات التي وردت فيمن قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، أو حرّم الله عليه النار. ونحـــو ذلك إنما كان في ابتداء الإسلام، حين كانت الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد، فلما فُرضت الفرائض، وحُدت الحدود نسخ ذلك، والدلائل على هذا كثيرة متظاهرة، وإلى هذا القول ذهب الضحاك، والزهري، وسفيان الثوري وغيرهم.

وقال طائفة أخرى: لا احتياج إلى ادعاء النسخ في ذلك، فإن كل ما هو من أركان الدين، وفرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين، وتتماته، فإذا أقر ثم امتنع عن شيء من الفرائض جحداً، أو تهاوناً على تفصيل الخلاف فيه حكمنا عليه بالكفر، وعدم دخول الجنة، وهذا القول أيضاً قريب.

وقـــالت طائفـــة أخرى: التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضي دخول الجنة والنجاة من النار، بشرط أن يأتي بالفرائض، ويجتنب الكبائر، فإن لم يأت بالفـــرائض، و لم يجتـــنب الكبائر لم يمنعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول النار، وهذا قريب مما قبله، أو هو هو. والله سبحانه وتعالى أعلم. [الترغيب والترهيب ٤١٣،٤١٤/٢].

١- توحيد الربوبية: وهو اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق المدبر، وهذا لا يكفي وحده للنجاة، فقد كان كفار قريش يؤمنون به ومع هذا لم يصيروا به مسلمين ولا حُقنت دماءهم أو عصمت أموالهم حتى حققوا توحيد العبادة وتبرؤوا من آلهتهم الباطلة قال تعالى عنهم: **{ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله...}**.

٢- توحيد الأسماء والصفات: وهو أن تصف الله بما وصف به نفسه من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تكييف أو تعطيل، وأن لا نصف أحداً غيره بشيءٍ من صفاته.

الشرك: اعلم أن أعظم ذنب عصي الله به هو الشرك قال تعالى: **{إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}** وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أعظم الذنوب فقال: (**أن تجعل لله نِداً وقد خلقك**) وهو محبط لكلِّ الأعمال قال تعالى: **{لئن أشركت ليحبطن عملك}**، والشرك نوعان: أكبر وأصغر.

أما الشرك الأصغر: فهو كيسير الرياء والحلف بغير الله تعالى كمن يحلف بالنبي أو بالكعبة أو الشرف أو نحوه فهذا شرك أصغر إلا أن يعتقد أن الذي يحلف به أعظم من الله فيكون شركاً أكبراً، ويظهر ذلك من استهانتهم بالحلف بالله ومهابتهم وخوفهم إذا حُلِّفوا بمحبوباتهم الأخرى.

أما الشرك الأكبر: فهو أن يتخذ مع الله معبوداً آخر يشركه معه **في** أي نوع من أنواع العبادة فيسجد له أو يصلي أو يدعوه أو يرجوه أو يخافه كما يرجو ويخاف الله أو يحبه كحب الله أو يستغيث به في دفع الضر وجلب النفع فيما لا يقدر عليه إلا الله أو يتابعه ويطيعه في التشريع والتحليل والتحريم فكل ذلك شرك بالله العظيم، ومن هذا تعرف أن الشرك نقيض التوحيد، فقد يكون في (الألوهية) وقد يكون في باب الأسماء والصفات: بأن يُصف الله ببعض صفات خلقه فيقول يد الله كأيدي الخلق والله يقول واصفاً نفسه **{ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير}** أو يصف غير الله ببعض صفاته سبحانه أو يشتق له اسماً من أسماء الله كما كان المشركون يسمون العزى من العزيز.

وترك الصلاة من الأمور التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تُوقع بالشرك فقال: (**إن بين الرجل وبين الشرك، والكفر، ترك الصلاة**). [رواه مسلم في كتاب الإيمان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم].

أسأل الله تعالى أن يُعيذنا وإياك من الشرك فقد قال تعالى: **{إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة}**.

**أبو محمد عاصم المقدسي**

سجن قفقفا ــ الأردن ــ ربيع الثاني ١٤١٥.

**اقرأها واعمل بما فيها واحرص على أن يقرأها غيرك ليعم النفع، يرحمك الله، وجزى الله خيراً من أعان على نشرها.**

# العبـــــــــــادة

## معناها ـ صفاتها ـ شروط قبولها

### معنى العبادة

العبادة لغةً: من الخضوع والانقياد والتذلل، يُقال بعير مُعبّد أو طريق مُعبّد: أي مُذلّل سلس سهل الانقياد.

وهي شرعاً: غاية الحب مع غاية الذل وهي كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ: العبادة اسم جامع لكلّ ما يُحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

وعـــلى هذا فمعنى العبادة واسع وليس كما يظنه كثير من الناس فيقصرونه على السجود والركوع والصلاة فربما عبدوا غير الله بأنواع أخرى من العبادات وهم لا يشعرون فيقعون بالشرك الذي لا يغفر الله لمن مات عليه قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِه وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}** [النساء:٤٨].

لذلك وجب على من أراد النجاة من النار ودخول الجنة أن يفهم معناها وأنواعها ليوحِّدها جميعها لله تعالى، فذلك حقه سبحانه على العباد إن هم أدّوه كان حقاً عليه سبحانه أن يدخلهم الجنة كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

فتأتي العبادة بمعنى التنَسُّك والتأله: كالسجود والركوع والصلاة، وأيضاً الدعاء فهو من العبادة ومنه الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله فذلـــك من العبادة التي يجب أن لا تُصرف لغير الله، وكذلك الاستعاذة **{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً}** [الجن:٦] . وكذلك الذبح والنذر ونحوه فذلك كله من العبادة التي يجب أن لا تُصرف لغيره قال سبحانه: **{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَـــالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}** [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال تعالى: **{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}** [الكوثر:٤]. فالنحر والذبح كالصلاة يجب توحيدها لله تعالى، وقال ﷺ في الدعاء: (**الدعاء هو العبادة**).

وتـــأتي العبادة ويُراد بها الطاعة والانقياد المطلق، قال تعالى: **{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـــا بَنِي ءَادَمَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ الشَيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّـــبِينٌ}** [يس:٦٠] . فعبادة الشيطان هنا طاعته. وكذلك قوله تعالى عن فرعون وملئه: **{فَقَالُواْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـــابِدُونَ}** [المؤمنون:٤٧] . فالمقصود بالعبادة هنا الطاعة والإنقياد المطلق في كلّ شيءٍ، فهذه لا تجوز إلا لله وإن صُرفت إلى غير ذلك فهي على نوعين:ـــ

١-طاعـــة في معصـــية الله عز وجل (بدون استحلال للمعصية): كأن يُزيّن له الشيطان الزنا فيُطيعه، أو أن يأمره سيّده بشرب الخمر فيطيعه، أو يأمره رئيسه بحلق اللحية فيُطيعه، وهو يعتقد أن ذلك حرام.. فهذه الطاعة يشملها لفظ العبادة، ويُسمى فاعلها (عـــابداً للشيطان)، أي مُتّبعاً له، ولا يصل إلى الكفر إلا إذا استحل المعصية، وإنما هو مُحرم وقد حذّر النبي ﷺ منه أشَدّ التحذير فقال: (**لا طاعة لمخلوق في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**) [رواه مسلم] .

٢-طاعـــة في الحكم والتشريع أي في (التحليل والتحريم): وهذا لا يجوز صَرفه لغير الله عز وجل، فإن صُرِفَ، فهو شرك أكبر، لأن الحكم والتشريع لا ينبغي إلا لله الواحد القهار قال عز وجل: **{وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِه أَحَداً}** [الكهف:٢٦] .

وقـــال تعالى أيضاً: **{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّه}** [يوسف:٤٠]، فالحكم والتشريع من أخصِّ خصائص الألوهية، ولذا كان من معاني كلمة الإله: المُشرِّع، ومن أسماء الله الحسنى: الحَكَم والحكيم، وعلى ذلك، فإنَّ من شرَّع أو فرَضَ تشريعاً وحُكْماً غير حُكمِ الله عز وجـــل فقـــد نَسَبَ إلى نفسه صفةً من صفات الألوهية، وكان بذلك مثل فرعون حين قال: **{مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرِي}** [القصص:٣٨] .

والأدلة على أن مجرد الطاعة والاتباع لغير الله عز وجل في الحكم والتشريع تعتبر شركاً كثيرة، منها قوله تعالى: **{وَإِنَّ الْشَّيَاطِينَ لَيُوحُـــونَ إِلى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُون}** [الأنعام:١٢١] . فكانت طاعة أولياء الشيطان هنا شركاً وعـــبادةً لغير الله عز وجل لأنها طاعة في الحكم والتشريع، أي في التحليل والتحريم الذي لا ينبغي إلا لله عز وجل.. وذلك كما روى الحـــاكم وغيره بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه: أنَّ أُناساً من المشركين كانوا يُجادلون المسلمين في مسألة الذبح وتحـــريم الميـــتة فيقولـــون: (تأكـــلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله ـــ يعني الميتة ـــ) فقال الله تعالى: **{وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُون}** فكانت مجرد الطاعة في مثل هذه الأمور تُعتبر شركاً، يقول ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: أي حيث عَدلْتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قولِ غيره فقدّمتم عليه غيره فهذا هو الشرك. اهـــ.

لذلك فإنَّ من أطاع العلماء أو الأمراء أو الحكام في تحريم ما أحلّ الله أو تحليل ما حرّم الله في فتاويهم، أو قوانينهم التي يحكمون بها العباد، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله وكان بذلك مشركاً، ويدّل على ذلك أيضاً قول الله تعالى عن أهل الكتاب: **{اتَّخَذُواْ أَحْـــبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّه}** [التوبة:٣١] . واتخاذُ الأحبار والرهبان أرباباً، لا يُقصد به هنا السجود والركوع لهم، وإنمـــا ذلك بطاعتهم في الحكم والتشريع والتحليل والتحريم، لأنَّ هذه الطاعة عبادة كالركوع والسجود لا تجوز إلا لله عز وجل، لذلك أنكر الله تعالى عليهم ذلك في تَتمَّة الآية فقال: **{وَ مَاأُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـــهاً وَاحِداً لاَّإِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَـــانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }** وقال سبحانه وتعالى أيضاً عن أمثال هؤلاء الذين يُطيعون ويَتبعون غير تشريعه: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَـــاءُ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّـــالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**... [الشورى:٢١] .

فاحذر ذلك جيداً ـــ يرحمني الله وإياك ـــ فقد هلك بسببه كثير من أهل زماننا..(١).

## صفات العبادة الصحيحة

ينبغي للعبادة كي تكون على الوجه الذي طلبه الله منا، أن يصحبها ثلاثة أمور وهي:ـــ

**١ـــ الحب ٢ـــ الخوف ٣ـــ الرجاء**

١ـــ فنعبد الله تعالى حباً له سبحانه فقد أثنى الله على عباده بذلك فقال: **{وَالذين آمنوا أشدُّ حُباً للَّه}**.

٢ـــ وكذلـــك نعـــبده خوفاً منه ومن عذابه سبحانه، قال تعالى: **{فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين }** وقال عز وجل: **{يَدعُون ربَّهم خَوْفاً وطَمَعاً}** أي خوفاً من عذابه وطمعاً في مغفرته وجنته وثوابه.

٣ـــ وكذلك الرجاء: قال تعالى: **{ويَرجُون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً}**.

---

(١) ويدخـــل في هذا الفرع أيضاً الحكام المرتدين الذين يزعمون الإسلام، ويحكمون بقوانين اليهود والنصارى، فهم مشركون أيضاً، وإنْ لم يُقنِّنوا هم بأنفسهم فيحرِّموا ما أحل الله أو يُحلوا ما حرّم الله، لأن مجرد طاعتهم لليهود والنصارى في تحكيم قوانينهم (التي جلها استحلال للحرام وتحريم للحلال) بـــدلاً مـــن حكـــم الله، يعتبر شركاً أكبر (أي عبادة لغير الله عز وجل)، فأولئك المشركون العرب كانوا يُجادلون المسلمين في حكمٍ واحدٍ من أحكام الإسلام وهو الذبح، فسمى الله عز وجل طاعتهم واتباعهم لذلك الأمر شركاً، فكيف بمن اتبع اليهود والنصارى وأطاعهم بتحكيم قوانينهم وأحكامهم كلِّها، ونَبَذَ حُكْم الله كلّه؟؟؟.

فنعـــبد الله تعالى حباً فيه وخوفاً من عذابه ورجاء رحمته وثوابه في وقت واحد وهذا هو حال الصالحين ودأبهم وهذه هي صفة العـــبادة الصـــحيحة التي يُريدها الله من عباده ولذلك قال بعض السلف: (مَنْ عَبدَ الله بالحب وحده فهو زنديق (٢) ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري(٣) ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ (٤) أما صاحب السنة فيجمع بين ذلك كله).

## شروط قبول العبادة

أما شروط قبول العبادة فهي:ـــ

**□ـــ الإيمان □ـــ الإخلاص □ـــ الإتباع**

ولا تُقبل عبادة عابد إلا بتوافرها كلها مجتمعة.

○ فالعبادة بلا إيمان مردودة قال تعالى: **{من عمِل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن}** فجعل الإيمان قيداً لذلك.

○ وكذلـــك الإخلاص: بدونه لا تُقبل العبادة، قال تعالى في الحديث القدسي: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمِلَ عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**). فلا يقبل الله تعالى من العمل إلا ما كان خالصاً له.

○ وكذلـــك الإتباع: فالله لا يقبل من العبادة إلا ما كان مُوافقاً لما شرعه أي صواباً، قال ﷺ: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) ـــ أي مردود ـــ [رواه مسلم] .

أسأل الله تعالى أن يوفقني وإياك إلى العبادة الصحيحة وأن يتقبل أعمالنا ويحسن ختامنا.

**؟أبو محمد عاصم المقدسي**

سجن قفقفا ـــ الأردن ـــ ربيع الثاني ١٤١٥ هـــ .

**اقرأها واعمل بما فيها واحرص على أن يقرأها غيرك ليعم النفع، يرحمك الله، وجزى الله خيراً من أعان على نشرها.**

---

(٢) كمـــا يزعم بعض الصوفية أنهم أحباب الله، يعبدونه حباً فيه فقط وليس خوفاً من عقابه ولا رجاءً ورغبة في مغفرته وثوابه، فكان ذلك من أعظم أسباب ضلالهم وانحرافهم لأنهم خالفوا أمر الله عز وجل حيث أمرنا أن نعبده بالخوف والرجاء معاً، فقال: **{وادعوه خوفاً وطمعاً}**.

وهؤلاء الضلال ليسوا أفهم ولا أعلم من الأنبياء وعُباد الله الصالحين الذين وصفهم الله بأنهم يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وأثنى عليهم بذلك.

(٣) الحرورية: هم الخوارج نسبة إلى حروراء بلدة كان أول ظهورهم فيها.

(٤) المرجـــئة: هم الذين يُرجئون العمل عن الإيمان أي يأخرونه ويهملونه ولا يجعلونه شرطاً أو ركناً من أركان الإيمان، كما يقول كثير من الناس اليوم إذا دُعي للصلاة أو غيرها من الفرائض **{إن الله غفورٌ رحيم}** دون أن يستجيب لشيء من ذلك.

**سلسلة**

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ؟﴾

**- ٣ -**

بدعة الوحدة الوطنية

# الفرق المبين بين توحيد المرسلين

# و

# توحيد الوطنيين

[قــال الــنائب عن الشعب في التشريع!! (عبد المنعم أبو زنط) في ردّه على الحكومة إثر حادث الإعتداء عليه بعد صلاة الجمعة، والذي نُشر في جريدة البلاد في عددها ٩٥ بتاريخ ١٩٩٤/١١/٣م:ــ

«بــدأتُ بالخطبة قائلاً بعد مقدمتها: يا إخواننا!! من أهل السلطة اتقوا الله في أمهاتكم المسلمات... إلى قوله: ثم اختتمتها بقولي: يا إخواننا أناشدكم الله رب العرش العظيم بأن نُحافظ على اخوتنا ووحدتنا الوطنية وأمتنا واستقرار بلدنا أردن الحشد والرباط فلا نُريد أن نشمت بنا الأعداء»] (*).

وأقول بياناً لما جاء فيه من خلط وتلبيس: الحمد لله الذي جعل توحيده بالعبادة فُرقاناً بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الذين كان الحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة في الله عندهم أوثق عُرى الإيمان... وبعد:ــ

فــإن أعظم ما أرسل الله رُسله من أجله هو توحيده سبحانه بالعبادة في كافة صورها والبراءة من الشرك وأهله على اختلاف أنواعه.. قال تعــالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُول إلاَّ نُوحي إلَيْه أَنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ أَنَّا فَاعْبُدُون}** [الأنبياء:٢٥].وقال سبحانه: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أُمَّة رَّسُــولاً أَن اعْــبُدُواْ الــلَّهَ وَاجْتَنبُواْ الطَّاغُوتَ}** [النحل:٣٦]. وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**حق الله على العباد أن يُوحِّدوه ولا يُشركوا به شيئاً**..).

ومــن لــوازم هــذا التوحيد ومعالمه التي هي من أهم صفات ومميزات أتباعه: حب الله وحب أوليائه الموحِّدين الذين يعبدونه وحده ولا يُشركون به شيئاً، وموالاتهم ونُصرتهم وتكثير سوادهم وحبّ انتصارهم وظهورهم..

ومــن لوازم الكفر بالطاغوت اجتناب الشرك والبراءة منه، واجتناب أهله ومُفارقتهم وبُغضهم ومُعاداتهم وجهادهم باللسان والسنان عند الإمكــان، وإن كــانوا مــن الأهل والعشيرة وأقرب الأقربين، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذينَ ءَامَنُواْ لا تَتَّخذُواْ ءَابَاءَكُمْ وَإخْوَانَكُمْ أَوْليَاءَ إن اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإيْمَان وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَــئكَ هُمُ الظَّالمُونَ}** [التوبة:٢٣].

وقــال تعــالى في وصف ملّة إبراهيم ودعوة الأنبياء والمرسلين: **{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْرَاهيمَ وَالَّذينَ مَعَهُ إذْ قَالُواْ لقَوْمهمْ إنَّا بُرَءَاؤُاْ منْكُمْ وَممَّا تَعْبُدُونَ من دُون اللَّه كَفَرْنَا بكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمنُواْ باللَّه وَحْدَهُ}** [الممتحنة:٤].

فقوله تعالى: **{وَالَّذينَ مَعَهُ}** قال المفسرون: المرسلين الذين على طريقته أو أنصاره المؤمنين الذين كانوا معه، وكلاهما صواب. وتأمل قوله ســبحانه: **{إذْ قَالُواْ لقَوْمهمْ}** فهي مُواجهة ومُصارحة وخطاب مُوجه إلى عشيرتهم وأهلهم بالبراءة الواضحة المُعلنة منهم ومن معبوداتهم التي يعــبدونها من دون الله. وهكذا ينبغي أن يكون كل من أراد التمسك بملة إبراهيم وسلوك طريق المرسلين.. فيتبرأ من كلِّ ما يُعبد ويُتبع من دون الله ســواءً كان ذلك المعبود أوثاناً من حجر أو شجر، أو قوانين وتشريعات من وضع البشر، ولا يكفي ذلك وحده ولا يستكمل المرء به توحيده وبراءته من الشرك حتى يُضيف إليه البراءة من المشركين أنفسهم.. وتأمل قوله تعالى في الاية: **{إنَّا بُرَءَاؤُاْ منْكُمْ وَممَّا تَعْبُدُونَ من**

(*) وجاء في جريدة الدستور في تاريخ ١٩٩٤/١١/٢٣م في مقالة لموسى الكيلاني تحت عنوان: ***حُكماء الحركة الإسلامية الأردنية*** (تأكيد عبد المجيد ذنيبات المراقب العام للإخوان المسلمين على أن الإخوان سيكونوا أول من يتصدى لمن يُحاول أن يمس الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب الواحد...).

**دُونِ اللَّهِ}** وكيف قدّم الله البراءة من الأقوام المشركين العابدين غير الله ، على البراءة من معبوداتهم وشركياتهم لأن الأول أهم فَكَمْ من إنسانٍ يتبرّء من الشرك والمعبودات الباطلة ولا يتبرأ من أهلها خاصة إن كانوا من أهله وعشيرته وأهل وطنه وجنسيّته.. وأما إنْ تبرأ من المشركين فهذا يستلزم البراءة من شركياتهم غالباً... ثم أكد الله تعالى ذلك بقوله: **{كَفَرْنَا بِكُمْ} وقال : { وبدا}** أي ظهر وبان **{بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ}** وتأمل تقديمه العداوة على البغضاء لأنها أظهر وأهم، فالبغضاء غالباً محلها القلب أما العداوة فإنها تستلزم أن يكون الإنسان في عُدْوَة أي: ناحيةً وجهةً، وعَدُوَّه في عُدْوةٍ أخرى.. وهذا المَعْلَم واضح في دعوة الأنبياء جميعاً، فكما أن إبراهيم عليه السلام عادى أباه وقومه وفارقهم وتبرأ منهم لأجل توحيد الله تعالى ودينه فكذلك سائر الأنبياء كانوا يدعون أقوامهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتبرؤون من معبوداتهم وشركياتهم ويصبرون على دعوتهم فإن أصرُّوا على شركهم وباطلهم تبرؤوا منهم وعادوهم وفارقوهم... وعلى إثرهم مضى الصالحون فها همُ الفتية أصحاب الكهف يُفارقون أقوامهم ووطنهم وعشيرتهم لأجل توحيد الله تعالى: **{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُواْ إِلَى الْكَهْفِ ..}** [الكهف: ١٦] . وكذلك كان حال النبي ﷺ وصحابته فقد جاء في وصفه على لسان الملائكة في صحيح البخاري: **(ومحمد فَرقٌ بين النّاس)** وفي رواية **(فَرَّقَ)** و جاء في وصفه على لسان مشركي قريش في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح: **(عاب آلهتنا وسفه أحلامنا وشتم آباءنا..)** وكذلك ما قاله ورقة بن نوفل في أول مبعث النبي ﷺ:**(يا لَيْتَنِي فيها جذعاً ــ أي شاباً صغيراً لأنصرك ــ إِذْ يُخرِجُك قومكَ) قال: أَوَمُخْرِجِيَّ هُم؟ قال: (نعم، لم يأتِ رجلٌ بمثل ما جِئْتَ به إلا عُودِي)**.

فإن رأيت من يزعم أنه على طريقة الأنبياء والمرسلين ثم هو لا يُعادي أهل الباطل والمشركين فاضرب عنه صفحاً، فإنه لم يأتِ بمثل ما جاء به الأنبياء. وقد وصف الله كتابه الذي فَرَّق بين أهل الحق وأهل الباطل ــ وإن كانوا آباء وأبناء ــ بالفرقان، وسمّى غزوة بدر العظمى بيوم الفُرقان حيث قاتل فيها الأبناء آباءهم نصرةً لكلمة التوحيد وإعلاءً لها..

وهكذا فتوحيد ربّ العالمين هو توحيد المتقين المؤمنين يُؤلف بين قلوبهم، ويجمع بينهم في الدنيا والآخرة **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ}** [المؤمنون:٧١]، **{الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}** [الزخرف:٦٧] .

وتوحيد الوطنيين (الوثنيين) أو الوحدة الوطنية (الوثنية) تجمع بين المشركين والمرتدين والكافرين في الدنيا ثم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض **{وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الحَيَاةِ الْدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمأْوَاكُمُ الْنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ}** [العنكبوت:٢٥] .

وتوحيد ربّ العالمين لا يلتقي أبداً مع توحيد الوطنيين (الوثنيين)؛ توحيد العشيرة والقبيلة ونحوه إلا في إحدى حالتين:ــ

- أن ينحرف أهل التوحيد الحق عن توحيدهم، ويتخلوا عن لوازمه التي من أوثقها الحب في الله والبغض في الله، والموالاة في الله والمعاداة فيه سبحانه.
- أو أن تبرأ العشيرة والأهل والوطن من الشرك وأهله، فيكفروا بكلّ ما يُتبع على غير بصيرة من الأديان الباطلة والشرائع والمناهج المخالفة والمناقضة لشرع الله تعالى سواءً كانت قوانين أو دساتير أو مذاهب كالديمقراطية التي هي حُكمُ الشعب وتشريعه وِفقاً للدستور، لا حكم الله وتشريعه المنزل في القرآن..

وعلى كلّ حال فمن لم يتبرأ من ذلك ويكفر به في الدنيا فسيكون أسمى أمانيه يوم القيامة بعد فوات الأوان أن يرجع إلى الدنيا ليحقق ذلك، فيتبرأ من الشرك وأهله، ومن كلّ توحيد غير توحيد المرسلين: **{وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}** [البقرة:١٦٧] .

**والخلاصة**: أن توحيد الوطنيين (الوثنيين) أو الوحدة الوطنية (الوثنية) التي تجمع بين الشيوعي والعلماني والنصراني، والديمقراطي، والبعثي، وساب الرب والدين، والمستهزئ بدين الله، وتألف بينهم وتجمع صفوفهم في ظل أي مصلحة مزعومة أخرى... هذا التوحيد هو توحيد الكفار، أو توحيد الطواغيت، أو توحيد المشركين، أو توحيد كفار قريش الذي كانوا يَدْعون النبي ﷺ إليه، ويُسَاومونه عليه من أجل مصلحة العشيرة والقبيلة ووحدتها، ومن أجل مصلحة البلد، أو المصلحة الوطنية، لكنه أبداً لن يكون توحيد المرسلين ومحالٌ أن يكون، فتوحيد رب العالمين يُفرِّق بين أهل الحق وأهل الباطل، والوحدة الوطنية (الوثنية) تجمع وتؤاخي بينهم.. ساءَ ما يحْكُمُون..

مـــن هذا كلّه تعلم أن المطلوب الأول من المسلم الذي يُريد تحقيق توحيده كاملاً هو البراءة من الشرك والمشركين، وإن كانوا من أقرب المقـــربين إليه نسباً أو موطناً، وأنَّ بدعة الوحدة الوطنية (الوثنية) التي يُشقشق بها كثير من الناس في هذا الزمان مُنافية ومُضادة للتوحيد الذي هـــو حق الله على العبيد، وبالتالي فلا يجوز العمل من خلالها أو تَبنِيها فضلاً عن نُصرتها وتأييدها وتدعيمها.. إلا حين يحكم الوطن ويستسلم مـــع أهله لشرع الله، ويبرأ من شرع الطاغوت، وحين يكفر المواطنون بكلِّ ما يُعبد من دون الله ويبرؤون من الشرك وأهله، ويحققون توحيد الأنبياء والمرسلين، عند ذلك وعنده فقط، سنكون أحرص الناس على الوحدة الوطنية، ومن أخلص جُنودها، وسنلقي بجميع الخلافات الفرعية خـــلف ظهورنـــا ما دامت هذه الوحدة قائمة على أصل سليم هو توحيد رب العالمين، والبراءة من الشرك والمشركين، ودون ذلك فسحقاً سحقاً لكلِّ وحدة تتعارض مع ملّة إبراهيم، وتوحيد الأنبياء و المرسلين.

**أبو محمد عاصم المقدسي**

سجن قفقفا ـــ الأردن ـــ

الخميس ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٥هـــ الموافق لـــ١٩٩٤/١١/٣ م

اقرأها واعمل بما فيها واحرص على أن يقرأها غيرك ليعم النفع، يرحمك الله، وجزى الله خيراً من أعان على نشرها.